« ولو أنهم كان لهم كتاب جمعوا فيه أطرافا من أشعارهم لما أطلق الله جل وعز على القرآن اسم الكتاب ، فلا كتاب لهم من قبله لافي الدين ولا فى غير الدين » . ويقول : « إن العرب لم يدونوا شعرهم فى الجاهلية ، وإن مايذكر من أخبار عن كتابة بعض شعرائهم لمقطوعات لهم ، إن صح ، فانه لايدل على أنهم فكروا فعلا فى تدوين أشعارهم ، إنما هي قطع تكتب على رحل أو على حجر أو جلد لإنباء القبيلة أو بعض أفرادها بحادث ... ومن الأدلة على ذلك أننا لانجد راوياً ثقة يزعم أنه نقل عن قراطيس كانت مكتوبة فى الجاهلية ، كما أننا لانجد راوية ثقة يزعم أن شاعراً فى الجاهلية ألقى قصيدته من صحيفة مدونة إنما كانوا ينشدون شعرهم إنشاداً ، ومن كان منهم يعد قصيدته فى حول أو أقل من حول كان يعدها فى نفسه . ويرددها في ذاكرته، ثم ينشدها ، ويحملها الناس عنه »[1] .

وأما الرأى الثانى الذى يتصل بهذا الجانب من الموضوع فيعطي به الدكتور زكى مبارك صورة لمدى ما كان للعرب في الجاهلية من الرقي الذى يكفى لنشأة النثر الفنى فى أدبهم ، يقول : « وهناك رأى مثقل بأوزار الخطأ والضلال وهو رأى المسيو مرسيه ومن شايعه كالدكتور طه حسين . وذلك الرأى يقضى بأن العرب فى الجاهلية كانوا يعيشون عيشة أولية ، والحياة الأولية لا توجب النثر الفنى لأنه لغة العقل ، وقد تسمح بالشعر لأنه لغة العاطفة والخيال » ويرد الدكتور زكى مبارك على ذلك فيقول :

« . . . إن العصر الذى وسموه بالأولية عند العرب هو القرن الخامس للميلاد . وفى ذلك العصر كان النثر الفنى موجوداً عند أكثر الأمم التى جاوزت العرب أو عرفوها كالفرس والهنود

---

(١) العصر الجاهلى ص١٤٠—١٥٨ — (القاهرة / ١٩٦٠) .